

طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

عـــ 80 ـــدد

01 آذار 2022

عن أوكرانيا ومشاريع الوحدة القومية



نحو مشروع للنّهوض القومي



طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عــــدد 80
01 آذار 2022

فهرس العدد



قدر أوكرانيا بين الهوية القومية والجغرافيا السياسية / عبد الناصر بدروشي

«ما ترفضه روسيا هو قيام كيان مناهض لها فوق أراضيها التاريخية».



إن هذه العبارات التي وردت في خطاب الرئيس فلاديمير بوتين لها دلالات عميقة تستوجب الوقوف عندها؛

عندما يعبر زعيم دولة عظمى بوضوح عن هذا المعنى، وعندما يطلق وصف «أراضينا التاريخية» على دولة معترف بها دولياً، فهذا يعني أن زيف حدود التجزئة يسقط أمام حقيقة الوجود القومي.

أيّاً كان الحاكم، سواء كان فلاديمير لينين أم فلاديمير بوتين أم ماو تسي تونغ أم هوشي منه أم تشافيز أم عبد الناصر، وأياً كانت مرجعيته الأيديولوجية، متى كان وطنياً مخلصاً فإنه سيخلص إلى ضرورة تكريس السيادة القومية، وسوف يرى خارطة العالم بعيونٍ قوميةٍ لا ترى حدود التجزئة الوهمية التي صنعتها الإمبريالية.

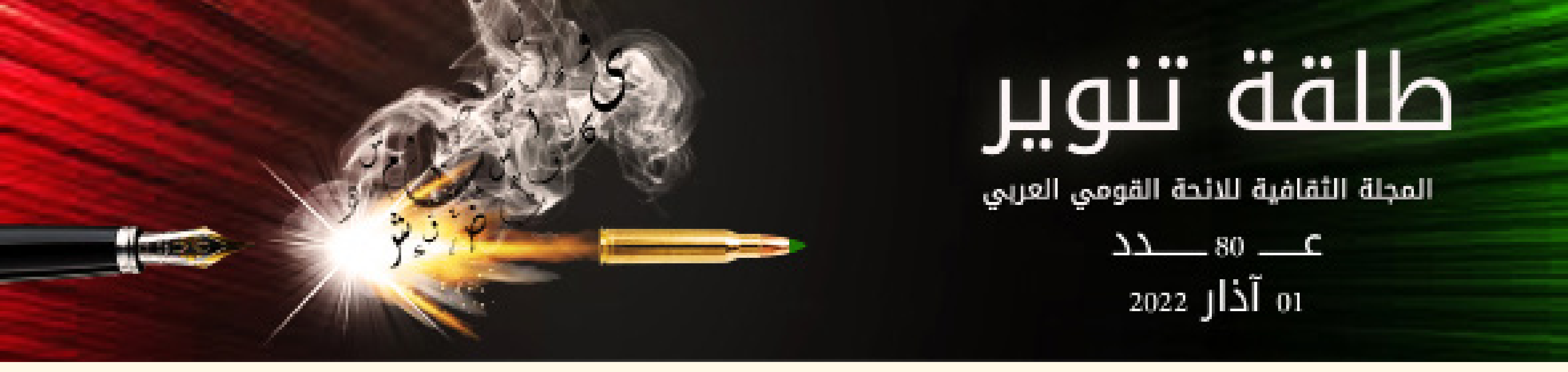
حين يتبنى زعيم دولة عظمى خطاباً قومياً، وحين يستند في تحريك قواته العسكرية وأساطيله على أسس قومية، فإن هذا يعد صفعةً على وجه المتنكرين لقوميتهم من العرب بحجة أن تبني القومية العربية «موضة قديمة» انقضت بانقضاء عصر الزعماء العرب المؤمنين بها.

لحظة إعلان الحرب حملت في طياتها كذلك مراجعةً لقواعد الجغرافيا السياسية لمن يرغب، فحسب قواعد الجغرافيا السياسية لا يمكن أن يكون هناك وجود لأوكرانيا مستقلة قوية متحررة، فأوكرانيا كحيز جغرافي متاخم لحدود روسيا الغربية، لا يمكن إلا أن تكون تابعة لروسيا، أو أنها تتحول إلى موطئ قدم لقوى الهيمنة الأجنبية.

وهذا ما تدركه روسيا وأعداؤها.

وهذا ما أدركه عبد الناصر حين أرسل جنوده للقتال في اليمن، أو عندما دخل في تجربة الوحدة المصرية-السورية.

بالنظر إلى ردات فعل بعض الدول ومواقفها من تحركات روسيا في أوكرانيا، ندرك أن نظرية اختراق المجال الحيوي للعدو عبر نسج علاقات وخلق روابط اقتصادية وسياسية وثقافية مع حلفائه ليست مجدية.



فـردة فعـل الكيـان الصهـ.يـو نـي تجـاه التوغـل الروسـي فـي أوكرانيـا يثبـت أنـه مهمـا فعلـت روسـيا لاسـتيعاب حلفـاء الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـإن ذلـك لـن يغيـر مـن حقيقـة كـون الكيـان الصهـ.يونـي جـزءاً لا يتجـزأ مـن منظومـة الهيمنـة الإمبرياليـة، وأن ارتباطـه بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة ارتبـاطٌ عضـوي، كمـا أنـه لا طائـل مـن محـاولات اسـتيعاب الـدول الخاضعـة للهيمنـة الأمريكيـة إلا متـى تغيـرت منظومتهـا الحاكمـة.

لله درك يـا تشـافيز مـا أصـوب بوصلتـك حيـن أشـارت عليـك بـألا تهـادن أعـداءك، فقـد كنـت تعـي جيـداً أن عـدوك لا يهـادن. ولله درك حيـن قطعـت دابـر الصهـ.يـو نيـة ولـم تفـرق بينهـا وبيـن الشـيطان الأكبـر. الحـدث الأوكرانـي أثبـت أن الوجـود القومـي قضـاء لا راد لـه، وأن الجغرافيـا قـدر لا مفـر منـه وأن البراغماتيـة التـي تقفـز مـن فـوق القوانيـن التـي تحكـم حركـة الواقـع لا طائـل منهـا.

الإنسـانية الانتقائيـة: الـروس يقتلـون في أوكرانيا.. والأمريـكان يهدوننا الورود والشـوكولاتة /كريمـة الروبي

موجـة كبيـرة مـن التعاطـف مـع أوكرانيـا أصابـت العالـم الـذي اسـتيقظ ضميـره فجـأة ليـرى أن الحـروبَ قتـلٌ ودمـارٌ وتشـريد. فهـل الحـروب دمـارٌ فقـط فـي أوكرانيـا، بينمـا كان الأمريـكان يوزعـون علـى الشـعب العربـي ورودا وشـوكولاتة فـي العـراق وسـورية وليبيـا؟ هـل الحـرب دمـارٌ حيـن تدافـع عـن أمنـك القومـي، لكنهـا ضروريـة ومبـررة حيـن تغـزو طمعـاً فـي الثـروات والنفـوذ؟ عجبـاً لهـذا العالـم الانتقائـي حتـى فـي الإنسـانية...



إن رفـض فكـرة الحـروب (كل الحـروب) هـي فكـرة مثاليـة لا تمـت للواقـع ولا لقوانيـن الحيـاة بأيـة صلـة، فمنـذ بـدء الخليقـة كانـت الحـروب وسـتظل إلـى أن يـرث الله الأرض ومـن عليهـا، ولكـن هنـاك حقـاً وباطـلاً، هنـاك حـروب قائمـة علـى اسـترداد (أو حفـظ) حقـوق، وحـروب أخـرى هدفهـا السـيطرة علـى مقـدرات الـدول الأخـرى، أمـا رفـض الحـرب لمجـرد أنهـا (حـرب) فهـي فكـرة سـاذجة ليـس لهـا علاقـة بالإنسـانية. فأيـة إنسـانية تلـك التـي ترفـض أن تحافـظ دولـة علـى أمـن شـعبها مـن عـدو يريـد حصـاره عسـكرياً مـن كافـة الاتجاهـات حتـى تحيـن الفرصـة للانقضـاض عليـه وقتلـه بـلا رحمـة؟ هـل سـتجدي حينهـا دمـوع التعاطـف الإنسـاني المثاليـة التـي رفضـت منـذ البدايـة حمايـة تلـك الـدول لأمـن شـعوبها؟

إن حمايـة الأمـن القومـي لأي دولـة يقتضـي النظـر خـارج حدودهـا. وأنـا هنـا أسـتغرب جـداً رد فعـل النخبـة المصريـة بالتحديـد، والتـي ترفـض الحـرب فـي أوكرانيـا، ولكنهـا تلـوم النظـام المصـري علـى عـدم خـوض حـرب وقائيـة ضـد أثيوبيـا حمايـة للأمـن القومـي المصـري وحفاظـاً علـى تدفـق ميـاه النيـل شـريان الحيـاة لمصـر. أليسـت الحـرب فكـرة

مرفوضة؟ ألم تكن تلك النخب داعمةً من قبل لقصف الناتو ليبيا، بل هم من طالبوا بذلك؟ ألم تهلل تلك النخب للطائرات الأمريكية وهي تقصف سورية؟ ألم تبتلع ألسنتها حين كانت الغارات الصهيونية تقتل السوريين؟ ألم يشاهدوا ويدعموا غزو العراق مبررين ذلك بوجود «نظام ديكتاتوري يجب تغييره»؟

إنك إن سألت رجل الشارع العربي عما يحدث ستجده مؤيداً لما أقدمت عليه روسيا وهو يضع في خلفية هذا التأييد مساندة روسيا لسورية في حربها ضد الإر ها ب المدعوم أمريكياً، وكذلك ما قدمه (الاتحاد السوفيتي) في الماضي لمصر ولحركات التحرر في مواجهة أمريكا، كما سيضع أيضاً في اعتباره ما سببه لنا تفرد أمريكا وغطرستها من دون رادع من وضعٍ بائسٍ نعاني منه ومن آثار تدمير وطننا العربي على يد الأمريكان الذين تقف في صفهم الآن نخب خائنة لا تخطئ البوصلة أبداً، فبوصلتها دائماً تشير إلى البيت الأبيض وتخوض معه كل حروبه، خاصة الإسلام السياسي الذي حارب ويحارب دوماً خدمة للأمريكان، في أفغانستان والشيشان والبوسنة وكوسوفو وسورية وليبيا واليمن، ولكنهم يرفضون الحرب على أوكرانيا خوفاً على مصير الشعب الأوكراني!

يا من تخشون على الشعب الأوكراني، فلتعلموا جيداً أن روسيا ليست أمريكا، وإن أرادت احتلال كييف في وقت قياسي لفعلت لولا تجنبها لقصف المدنيين، لا تصدقوا الصور والفيديوهات التي تتحدث عن استهداف المدنيين، فقد أصبح لدينا خبرة في تلك الأمور مما شاهدناه وعايشناه في سورية، وكيف كان يتم فبركة الصور والفيديوهات والتي يتضح بعد ذلك زيفها، وكان لمنظمة «الخوذ البيضاء» دورٌ كبيرٌ في ذلك، وهي منظمة تدعي الإنسانية وتسمي نفسها «الدفاع المدني السوري»، وقد أنشأها ضابط مخابرات بريطاني (لو مزرييه) بهدف صنع مشاهد غير حقيقية ومساندة الإر ها بيين في حربهم ضد الدولة السورية، فلا عجب إن وجدت خوذٌ بيضاءٌ أيضاً في أوكرانيا، وقد بدأت بالفعل منذ اللحظة الأولى فبركة أخبار وصور وفيديوهات، حيث انتشر فيديو لمدرعة قيل أنها روسية تدهس سيارة مدنية واتضح أنها ليست مدرعة روسية من الأساس، بل أوكرانية، كما انتشرت صورة لفتاة على أنها أول طالبة مصرية تقتل في أوكرانيا، وتم نفي ذلك من قبل المسؤولين في مصر، ثم قيل عن الصورة ذاتها إنها لفتاة جزائرية، وهكذا ستجدون الكثير من الكذب والتضليل.

إن أمريكا لا تريد أية قوة أخرى تقف أمامها وتفشل مخططاتها كما فعلت روسيا في سورية وفنزويلا وغيرها. لذا، فإنها تريد إضعاف روسيا وتحجيم دورها لتعيث فساداً في العالم من دون أن يقف أحدٌ أمام تحقيق أهدافها، فتقف على أبواب روسيا بوضع أنظمة تابعة لها، توعز لها بالأوامر فتنفذها، وهذا ما حدث بالفعل في أوكرانيا التي طالب رئيسها فلاديمير زلينسكي بالانضمام لحلف الناتو، وهو ما يعني تهديد الأمن القومي لروسيا التي ستستيقظ يوماً لترى منظومة صواريخ متطورة منتشرة على حدودها على بعد دقائق من عاصمتها جواً. فهل المطلوب منها أن تخضع للأمر الواقع وتقضي على وجودها أم تنتفض من أجل حماية أمنها القومي من عدوٍ لا يريد لها البقاء؟

وللعلم فإن النظام الأوكراني الذي تدعمه النخبة العربية هو نظام موالٍ للغرب ومؤيد للكيان الصهـيو نـي، فالرئيس الأوكراني يهـو دي يحمل الجنسية (الإسرائيلية)، وهو الذي كان متعاطفاً مع أطفال (إسرائيل) في عملية «سيـف القدس»، وكأن الفلسطينيين ليسوا بشراً يمكن التعاطف معهم.

للعلم أيضاً، تقوم سفارة أوكرانيا في «تل أبيب» بتجنيد مرتزقة من داخل الكيان الصـهيو نـي لمحاربة الروس خدمةً للأمريكان، فبقاء الكيان مرتبط بالوجود الأمريكي وقوة نفوذه، هذا هو النظام الذي تذرفون الدموع – يا بعض العرب – من أجل حمايته، فموقفكم من الحرب عليه يصب في مصلحته ولا علاقة للشعب الأوكراني بالأمر.

إن تعدد الأقطاب ووجود قوى أكثر أخلاقية من هذا الشيطان القابع في البيت الأبيض ليس فقط في مصلحتنا نحن العرب، بل في صالح الإنسانية التي تخشون عليها، ولتعلموا أن روسيا في حربها على أوكرانيا تسعى فقط لحفظ أمنها القومي وأنها تتجنب المدنيين قدر المستطاع، وإلا لانتهت الحرب في وقت قياسي لو حذت حذو الأمريكان واستخدمت الأسلحة المحرمة دولياً وقصفت عشوائياً لهدم المدن على من فيها، كما تعود الغرب أن

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عدد 80
01 آذار 2022

يفعل، لينتهي كل شيء.
يا من تذرفون الدموع على أوكرانيا من أجل الإنسانية، إن لم تكونوا عملاء للغرب، فلتحكّموا عقولكم ولا تنساقوا وراء حملات ضد مصالح أوطانكم.

روسيا الدولة والفضاء السلافي / إبراهيم علوش

ظهر السلاف، أول ما ظهروا، في أواسط أوروبا بين القرنين الخامس والعاشر الميلاديين، وكانوا قبلها أقواماً تعيش في ظل إمبراطوريات أخرى، لكنهم لم يثبتوا وجودهم المستقل سياسياً إلا بعد انزياح الأقوام الجرمانية من وسط أوروبا بسبب غزوات «الهن» The Huns منذ القرن الرابع للميلاد.

«الهن» أقوام بدوية يعتقد أنهم من أصول إيرانية، والبعض يقول إنهم من أصول صينية، والمسألة لم تحسم بين المؤرخين، وهناك دراسات تقول إنهم خليط عرقي من شرق آسيا ووسطها، أي خليط مما يشبه الصينيين وسكان آسيا الوسطى الحاليين، وقد تمددوا غرباً لا سيما في ظل ملكهم أتِيلا المعروف باسم Attila the Hun، وتمكنوا من اجتياح أقسام واسعة من أوروبا، وصولاً إلى عمق أوروبا الغربية، وتأسيس إمبراطورية قصيرة العمر فيها في القرن الخامس للميلاد.

أهمية غزوات الهن، التي بدأت قبل أتيلا بقرن، أنها دمرت دولاً وأسهمت بسقوط الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، ودفعت شعوباً للانزياح غرباً، وفي ذلك الوقت كان السلاف قد ازدادوا عدداً، فتحركوا غرباً، وملأوا الفراغ، لا سيما بعد انتهاء موجة أتيلا.

جاء ذكر السلاف الأوائل لأول مرة في مصدر روماني كقومٍ يعيشون إلى الشرق من الجرمان وإلى الشمال من الإيرانيين بين القرن الأول والثاني الميلادي (1).

جاء ذكر السلاف بعدها في المراجع البيزنطية في القرن السادس كقومٍ كثيري العدد ظهروا لغزو الحدود الشرقية للإمبراطورية (2).

لم تنشأ أول دولة سلافية في روسيا، بل نشأت في أوروبا الشرقية، بين عامي 631-658 ميلادي، في المنطقة الواقعة اليوم في تشيكيا وسلوفينيا وبولندا (3)، وقد ولدت تلك الدولة السلافية الأولى قبل دولة «رس كييف» بأكثر من قرنين. وهذا مهم كي نفهم الصلة السلافية بين روسيا وأوروبا الشرقية، فهي ملعبهم التاريخي، لا الجغرافي-السياسي فحسب.



كان مؤسس تلك الدولة تاجراً جرمانـي الأصل اسمه «سـامو» امتلك مهـارات سياسـية وعسكرية اسـتثنائية مكنتـه مـن توحيد القبائـل السـلافية الغربيـة علـى الرغـم مـن أنـه لـم يكـن سـلافياً بحسـب المراجـع الغربيـة (4).

لكـن هـذا لا يعنـي كثيـراً فـي الواقـع، لأن سـتالين مثـلاً مؤسـس الاتحـاد السـوفياتي كان جورجـي الأصـل ولـم يكـن روسـياً، وكذلـك كان محمـد علـي باشـا صاحـب أول مشـروع وحـدوي نهضـوي فـي الوطـن العربـي فـي القـرن التاسـع عشـر ألبانـي الأصـل، لهـذا لا يهـم الأصـل العرقـي، بـل يهـم المشـروع السياسـي، فهـل كان مشـروع سـتالين مشـروعاً قوميـاً جورجيـاً، وهـل كان مشـروع محمـد علـي باشـا مشـروعاً قوميـاً ألبانيـاً أو تركيـاً؟! الجـواب هـو لا بالطبـع.

الإمبراطـور الجرمانـي الأصـل سـامو أثبـت ولاءه للمشـروع القومـي السـلافي فـي الحـرب التـي خاضهـا السـلاف تحـت قيادتـه ضـد القـوات الجرمانيـة المتقدمـة علـى أراضيهـم فـي معركـة كبـرى عـام 631 للميـلاد (5)، والتـي نتـج عنهـا تأسـيس أول دولـة سـلافية فـي التاريـخ، أي أن سـامو قـاد السـلاف فـي مواجهـة الألمـان الذيـن ينحـدر منهـم، كمـا أثبـت محمـد علـي باشـا ولاءه للمشـروع القومـي العربـي فـي المعـارك الكبـرى التـي خاضهـا ضـد الاحتـلال التركـي فـي التاريـخ العربـي المعاصـر.

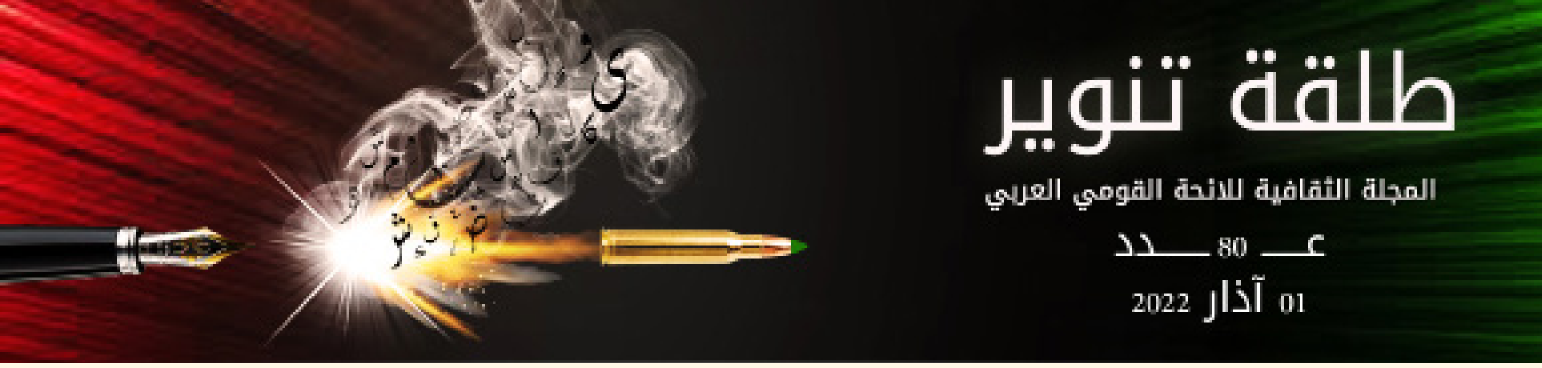
انهـارت إمبراطوريـة سـامو بعـد وفاتـه، ونشـأت بعدهـا، فـي القـرن السـابع، عـدة دول وإمـارات سـلافية غربيـة، أولهـا فـي المنطقـة الممتـدة حاليـاً بيـن جنـوب النمسـا وشـمال شـرق سـلوفينا، وغيرهـا كثيـر، حتـى جـاءت دولـة «رس كييـف» فـي نهايـة القـرن التاسـع، فـي عـام 879 للميـلاد تحديـداً، بقيـادة الأميـر أولِـغ، التـي شـرعت كقـوة مركزيـة بتوحيـد السـلاف الشـرقيين، وكانـت الـدول السـابق ذكرهـا للسـلاف الغربييـن والجنوبييـن، فيمـا «رس كييـف» دولـة السـلاف الشـرقيين، وهـي الدولـة التـي كان مهدهـا فيمـا هـو الآن أوكرانيـا، وتعتبـر روسـيا وريثتهـا التاريخيـة.

مؤسـس «رس كييـف»، التـي ضمـت مـا يعـرف حاليـاً بروسـيا وأوكرانيـا وروسـيا البيضـاء، كان قريـب الأميـر أولِـغ، واسـمه رورِك Rurik، وقـد جـاء مـع جماعتـه الجرمـان عـام 862 للميـلاد بنـاءً علـى دعـوة السـلاف الشـرقيين لفـض النزاعـات الدمويـة الحـادة التـي نشـبت فيمـا بينهـم بعدمـا طـردوا الجرمـان مـن أراضيهـم. وقـد ظـل أمـراء الـدول السـلافية الشـرقية مـن سـلالته حتـى القـرن السـابع عشـر للميـلاد.

ولينتبـه القـراء العـرب جيـداً، فـكل مـا سـبق يأتـي بنـاءً علـى المراجـع الغربيـة بالمناسـبة، فيمـا المراجـع الروسـية والأوكرانيـة يسـتفزها مثـل هـذا الـكلام بصـورة كبيـرة، وتصـر علـى أن مؤسسـي رس كييـف كانـوا مـن السـلاف الأصليين كمـا نـرى مـن هـذه المراجـع الثلاثـة (6).

ومـن المهـم الانتبـاه إذاً إلـى أن خطـاب تأسـيس روسـيا مـن قبـل الجرمـان هـو خطـاب نـازي رسـمي (7)، وقـد أشـار هتلـر إلـى ذلـك بوضـوح فـي كتابـه «كفاحـي» زاعمـاً أن فضـل تأسـيس روسـيا يعـود للجرمـان، وبالتالـي فـإن مثـل هـذا الخطـاب، بغـض النظـر عـن مـدى صحتـه أو خطئـه، يسـتعيد عنـد الـروس شـلالات دمـاء ملاييـن الشـهداء الذيـن قدموهـم فـي مواجهـة النازييـن فـي الحـرب العالميـة الثانيـة..

مـرة أخـرى، الأصـل العرقـي لـرورِك أو أولِـغ أو أحفادهمـا لا يهـم كثيـراً مـن الناحيـة الموضوعيـة، إذ أن مـا يهـم هـو تبنيهـم، بغـض النظـر عـن أصلهـم العرقـي، للمشـروع القومـي السـلافي، وقـد كان مـن أهـم الأعمـال التوسـعية لأحـد أولئـك الأحفـاد، سـفياتوسـلاف إيغوروفيتـش، فـي العـام 968 أو 969 للميـلاد، القضـاء علـى دولـة اليهـو د الخـزر بيـن البحـر الأسـود وبحـر قزويـن، والخـزر مـن الأقـوام التركيـة بالمناسـبة الذيـن تحولـوا إلـى اليهـو دية بعـد حروبهـم



مع العرب والبيزنطيين. وللمزيد حول سيرة هذا البطل السلافي باللغة العربية وحربه مع دولة اليـهو د الخزر وصولاً إلى مأثرة محققها محقاً، يمكن مراجعة هذه المادة القصيرة من العام 2009 للدكتور إبراهيم علوش (8).

وما تزال حدود روسيا ممتدةً حتى اليوم بالمناسبة، منذ أكثر من ألف عام، حتى تلك المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود، على حدود أذربيجان وجورجيا الحاليتين، كما نرى في الصورة المرافقة. وهذا هو أحد أهم الجذور التاريخية والجغرافية-السياسية للصراع الحالي.

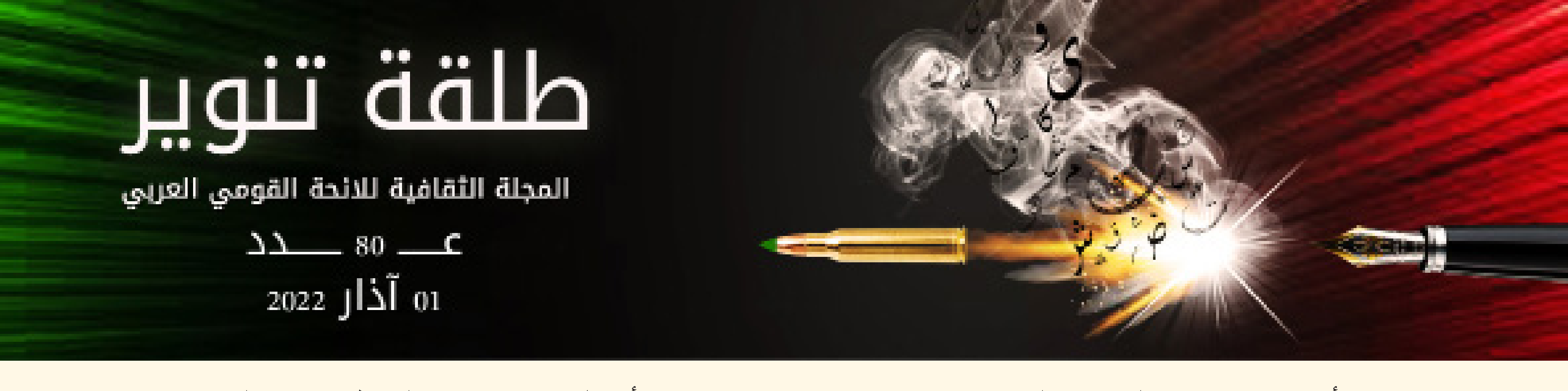
وقد كان دأب أحفاد رورِك، بغض النظر عن أصلهم العرقي، هو توحيد القبائل السلافية الشرقية، والتمدد بكل الاتجاهات، ومحاربة القوى العظمى التي يمكن أن تشكل خطراً على دولتهم السلافية الشرقية، وعلى رأسها البيزنطيون، على الرغم من تبنيهم في النهاية للمسيحية الأرثوذكسية التي أصبحت مكوناً رئيسياً من هويتهم السلافية.

نضيف أن الفروق بين السلاف الشرقيين، والسلاف الغربيين، والسلاف الجنوبيين، تعتمد في بعض جوانبها على الفروق في المذهب الديني والحرف المستخدم لكتابة اللغة، فتبني الكاثوليكية والحرف اللاتيني، خلق كراهية شديدة مثلاً بين السلاف البولنديين من جهة، وغيرهم من السلاف، الذين يتبنون الأرثوذكسية والحرف السيريلي الذي تكتب فيه الروسية وغيرها، من جهةٍ أخرى. فكتابة اللغة ذاتها بالحرف اللاتيني والتدين بالمذهب الكاثوليكي، قرب البولنديين والكروات مثلاً للغرب، وفتح مسارب تشكل وعي وثقافة تبعدهم عن بقية السلاف.

بعيداً عن روسيا نوعاً ما، لنأخذ السلاف الجنوبيين نموذجاً. كلمة يوغوسلافيا تعني «السلاف الجنوبيون»، ومكوناتها الأساسية من الصرب والكروات والسلوفينيين، الذين يتحدثون لغة واحدة بلهجات قد تختلف كثيراً أو قليلاً، والفروق بينهم هي فروق دينية وطائفية وجهوية، تحولت تدريجياً إلى فروق ثقافية عمقتها التدخلات الأجنبية. فالصرب أرثوذوكس أساساً، والكروات والسلوفينيون كاثوليك أساساً، وكلهم سلافيون، والبوسنيون هم سلاف جنوبيون أيضاً تحولوا للإسلام في العهد التركي وتأثروا بالأتراك واختلطوا بهم.

أساس الفروق الثقافية بين تلك المجموعات إذاً، التي تصر على النظر لذاتها كمجموعات قومية منفصلة، مفتعل تماماً، فالكروات يكتبون لغتهم بالحرف اللاتيني، كما في أوروبا الغربية، والبوسنيون يزاوجون ما بين الحرف السيريلي (أي الشبيه بالحرف الروسي) والحرف اللاتيني، وثمة نسبة من الكلمات التركية والفارسية والعربية في لهجتهم، بحكم احتكاكهم مع الفضاء الإسلامي، والصرب أقرب للروس لغةً وحرفاً وثقافةً، ولكن حتى هؤلاء يستخدمون الحرف اللاتيني أحياناً، مثل «العربيزي» (العربي المكتوب بالإنكليزية مثلاً)، والسلوفينيون سلاف جنوبيون، ولهجتهم مفهومة من بقية السلاف الجنوبيين، ولكنها تأثرت بشدة بالألمانية، بطرق تعبيرها ومفرداتها، بحكم وقوعها جنوب النمسا مباشرة، ووقوعها تحت تأثير النمسا لفترةٍ طويلة، والعبرة أن الكل يستطيعون أن يفهموا بعضهم بعضاً عندما يتحدثون، لو مالوا نحو القاسم المشترك، كما لغتنا العربية الفصحى بالنسبة للهجات العربيات، ولكن المسار العام منذ ثمانينيات القرن العشرين هو التباعد اللغوي والقومي، أساساً بتأثيرات خارجية، سمحت بتسللها عوامل داخلية دينية وطائفية وتأثيرات ثقافية جهوية لا يمكن إنكارها.

كذلك يمكن إيجاد الكثير من الفيديوهات اليوم عن «الفروق» بين الروسية والأوكرانية، مع أنهما من جذر واحد، وكلتاهما تكتب بالحرف السيريلي، وكلا الروس والأوكرانيين يعتنق المذهب الأرثوذكسي، لأن المطلوب الآن هو البحث عن فروق، لا عن قواسم مشتركة!



باختصـار، أي صـراع فـي الفضـاء السـلافي هـو صـراع بيـن قـوم مـن أصـل واحـد، كمـا القحطانيـون والعدنانيـون فـي بـلاد العـرب. كمـا أنهـم يعيشـون فـي فضـاء واحـد، والـروس فـي هـذا الفضـاء السـلافي هـم الكتلـة الأكبـر والـرأس الكبيـرة، ولذلـك يعتبـرون الفضـاء السـلافي منهـم ولهـم، وعليـه فـإن مـن يتدخـل فـي ذلـك الفضـاء هـو مـن يتجـاوز عليهـم، لا العكـس. وبالتالـي لا حـل للمشـكلة بيـن روسـيا وأوكرانيـا اليـوم إلا بتفاهمهمـا تحـت المظلـة الروسـية بعيـداً عـن أي تدخـلات غربيـة كان ومـا يـزال هدفهـا الوحيـد تفكيـك الفضـاء السـلافي إلـى شـذرات، كمـا هدفهـا تفكيـك الوطـن العربـي إلـى شـذرات.

المراجع:

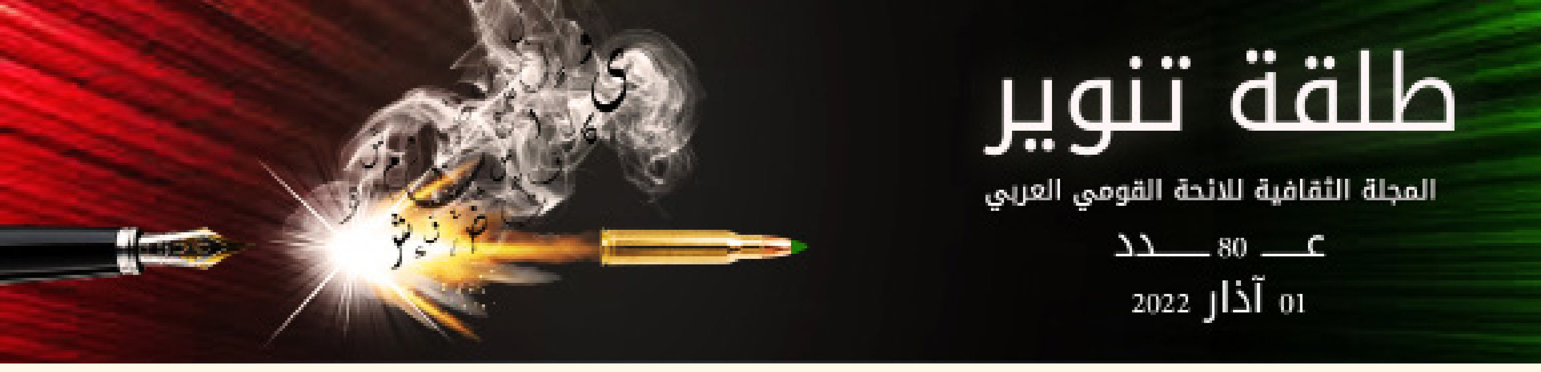
1. Coon, Carleton S. (1939) The Peoples of Europe. Chapter VI, Sec. 7 New York: Macmillan Publishers.
2. Cyril A. Mango (1980). Byzantium, the empire of New Rome. Scribner. p. 26
3. Július Bartl (January 2002). Slovak History: Chronology & Lexicon. Bolchazy-Carducci Publishers. pp. 18
4. Lexikon des Mittelalters. Verlag J.B. Metzler, Vol. 7, cols 1342-1343
5. https://enacademic.com/dic.nsf/enwiki/1501092
6. A History of Ukraine: The Land and its Peoples, Paul R. Magocsi, University of Toronto Press, 2020.

Nicholas V. Riasanovsky, A History of Russia, pp. 23-28 (Oxford Press, 1984).

http://www.encyclopediaofukraine.com/display.asp?linkpath=pages\N\O\Normanisttheory.htm

7. Jonathan Shepherd, ‹Review Article: Back in Old Rus and the USSR: Archaeology, History and Politics›, English Historical Review, vol. 131 (no. 549) (2016), 384-405 doi:10.1093/ehr/cew104 (pp. 386-87).

8. http://qawmi-jathri.net/?p=1877



الوحـدة العربيـة اندمـاج أم اتحـاد: عـلى هامـش ذكـرى وحـدة مـصر وسـورية / بشـار شـخاترة

أظلتنـا الذكـرى الرابعـة والسـتون للوحـدة المصريـة-السـورية بظلالهـا فـي الأيـام الماضيـة، وكانـت مناسـبة لانطـلاق احتفـاء واسـع بهـا داخـل الوطـن العربـي وفـي المهجـر، وفرصـة لنقـاشٍ تلـك التجربـة الوحدويـة الفريـدة والتـي كانـت ومـا تـزال قمـراً منيراً فـي مسـير أمتنـا العربيـة فـي الـدروب المظلمـة فـي تاريخهـا الحديـث والمعاصـر.



سـبقت وحـدة مصـر وسـورية محاولـة محمـد علـي باشـا توحيـد بـلاد النيـل مـع المشـرق العربـي، عندمـا تقدمـت جيـوش مصـر محـررةً بـلاد الشـام مـن نيـر الاسـتعمار العثمانـي (التركـي). مشـروع محمـد علـي باشـا الوحـدوي اسـتدعى واسـتعدى القـوى الدوليـة فـي ذلـك العصـر، مـن بريطانيـا إلـى النمسـا إلـى غيرهـا ولا سـيما روسـيا القيصريـة التـي كانـت مـن أشـد أعـداء الدولـة العثمانيـة حيـث خاضـت معهـا صراعـاً طويـلاً وشرسـاً، لكـن فـي لحظـة مراجعـة المواقـف والمصالـح اختـارت دعـم السـلطان العثمانـي لتدميـر قـوة مصـر الصاعـدة والتـي تتـوق إلـى توحيـد الوطـن العربـي تحـت حكمهـا، وهـذا بالمناسـبة مـا تـرك أثـره علـى الفكـر الاسـتعماري البريطانـي بضـرورة إقامـة كيـان غريـب تمثـل بمـا سـمي وطنـاً قوميـاً لليهـود فـي فلسـطين وبالتـوازي تجزئـة الوطـن العربـي إلـى دول هزيلـة غيـر قـادرة علـى الحيـاة وظيفتهـا الأساسـية حمايـة الأوضـاع الاسـتعمارية التـي قـد تحيـن سـاعة مغادرتهـا بلادنـا وهـذا مـا تـم لهـا فعـلاً.

تجـدر الإشـارة إلـى أن فكـرة الوحـدة العربيـة ليسـت فكـرة مثاليـة أو غيبيـة، ونـدلل علـى واقعيـة هـذا المشـروع الاسـتراتيجي وضرورتـه وحيويتـه وقابليتـه للخـروج إلـى حيـز النفـاذ والواقـع والتطبيـق أنهـا كانـت مشـروع محمـد علـي الأهـم الـذي سـعى إلـى تحقيقـه وخـاض الحـروب مـن أجلـه، والـذي تحقـق إلـى حـدٍ بعيـدٍ علـى أرض الواقـع، لكـن مـا أجهضهـا أنهـا لـم تتمكـن مـن الاسـتقرار بفعـل التدخـل الأوروبـي لمسـاعدة العثمانييـن، وتلاهـا، وبعـد سـقوط القنـاع العثمانـي، وانكشـاف وجهـه الاسـتعماري، أن أصبحـت الدعـوة إلـى التحـرر والوحـدة العربيـة مطلبـاً عربيـاً، وخصوصـاً فـي المشـرق العربـي بشـكل عـام، ولـم يكـن هـذا التوجـه يخفـي آمالـه بالتوحـد مـع البـلاد العربيـة فـي إفريقيـا، إلـى أن توجـت نضـالات الأمـة بوحـدة القطريـن المصـري والسـوري، فأصبحـت مـن جديـد فكـرة الوحـدة العربيـة واقعـاً معاشـاً ومتفاعـلاً ومؤثـراً فـي الحيـاة العربيـة، ومـا تـزال هـذه التجربـة ماثلـة فـي وعـي الإنسـان العربـي رغـم الانفصـال وفشـل المحاولـة والتجربـة لكـن الفكـرة لمـا تـزل ماثلـة فـي الوعـي العربـي ومبرراتهـا تتزايـد كل يـوم.

إن كلتـا المحاولتيـن ظهـرت إلـى الوجـود بصـورةٍ واقعيـةٍ معاشـة، وإن الثانيـة أكـدت الأولـى وبرهنـت علـى أن الوحـدة العربيـة فكـرة ناجـزة فـي الوعـي العربـي، ومتمثلـة فـي الوجـدان العربـي بأنهـا الحالـة الأرقـى التـي تتـوق إليهـا الأجيـال العربيـة، حتـى لـو لـم يتـح لجيـل بعينـه تحقيقهـا، فإنهـا تبقـى الأمـل، كلمـا ضاقـت المسـالك بوجـه العـرب يلجـؤون إليهـا فـي تعبيراتهـم وطموحاتهـم، وإن بـدت هنـا كحالـة مثاليـة إلا أن المقصـود مـن ذلـك أنهـا الحـل الواقعـي لمشـاكل العـرب جميعـاً .

اقتضـى التنويـه إلـى هـذه المقدمـة الطويلـة، وذلـك لنتمكـن مـن العـودة إلـى حالـة الجـدل التـي دارت فـي الأيـام التـي مضـت علـى هامـش حلـول ذكـرى وحـدة مصـر وسـورية، حيـث أخـذ النقـاش والأخـذ والـرد فـي تقييـم التجربـة الوحدويـة

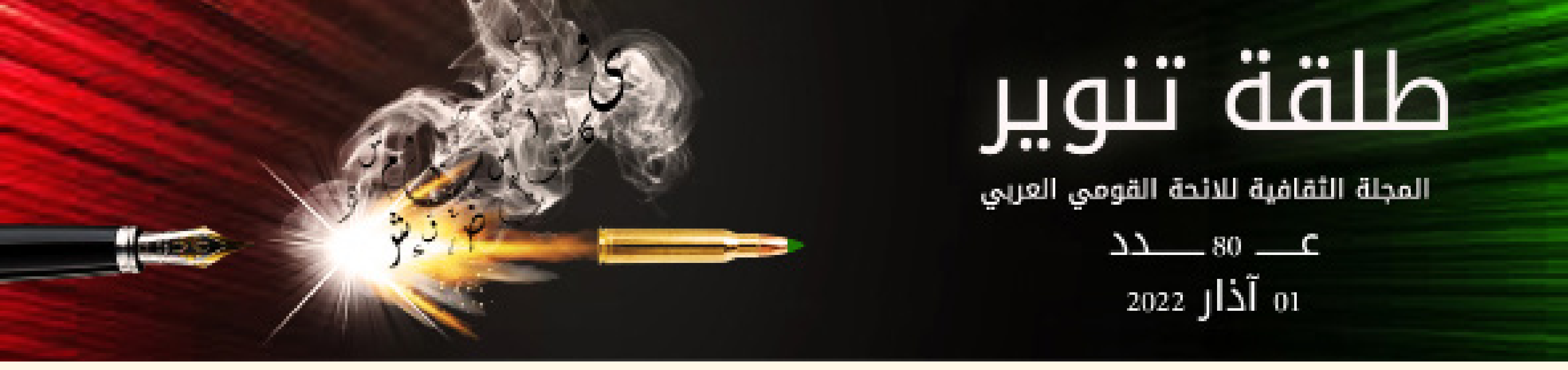


تلك يغوص في تفاصيل التفاصيل والملابسات التي رافقت حدث الوحدة حتى صبيحة يوم الانقلاب عليها وتحقق الانفصال، ما استدعى الانتقال للبحث في صلاحية الوحدة من حيث الشكل الذي تمت به، وهو الوحدة الاندماجية الكاملة بين مصر وسورية، وهل الخيار الأفضل كان يقتضي مراعاة (الفروق) بين القطرين؟ وهل اختيار الصيغة الاتحادية (الفيدرالية) كبديل أكثر مواءمة؟ أم اختيار الصيغة التعاونية، إن جاز التعبير(الكونفدرالية)، في الشروع بوحدة القطرين المصري والسوري؟ وذلك من باب أخذ العبرة واستلهام التجربة التي نصر أنها أفشلت ولم تفشل من تلقاء نفسها أو لسبب متعلق بطبيعتها، وفي حقيقة الأمر فإن هذه هي النقطة الأهم فيما أثير من جدل مؤخراً، وهو ما نحن بصدد التعليق عليه ومناقشته.

نستطيع أن ندعي، وبثقة، أن وحدة هذه البلاد - الممتدة من جبال زاغروس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن حدود هضبة الأناضول شمالاً (بما فيها ديار بكر امتداداً حتى أنطاكية غرباً) إلى بحر العرب جنوباً – تحققت تاريخياً، وعبر فترات زمنية مغرقة في القدم، تحت حكم الممالك العربية السومرية والآشورية والبابلية والفينيقية وغيرها، وصولاً إلى الحكم العربي الأموي والعباسي، وكانت هذه البلاد التي نعرفها اليوم بالوطن العربي ميداناً للصراع من أقدم العصور بين صعودٍ وهبوطٍ، بين تحرير وتمدد، وبين تقهقر واحتلال، يليه تحرير، وهكذا دواليك، لكن طابعها وقاسمها المشترك وقسماتها التي نلمحها في عاداتنا وتقاليدنا ولغتنا وثقافتنا وآثار أجدادنا وملامحنا نحن العرب وبقائنا على ثراها، بقيت شاهداً على هويتنا وعلى ارتباط أرضنا بنا نحن العرب، أهل هذه البلاد، لونها لوننا وطابعها طابعنا. ليس كلاماً مرسلاً وإنما واقعٌ تثبته علوم الإنسان والآثار وعلوم اللغة وعلم الوراثة أيضاً. لهذا نقول إن الحديث عن الفروق وتجذر الهويات القُطرية، ومراعاة التباعد الجغرافي، لا يصمد أمام الوقائع القائمة على الأرض فيما يتعلق بالإنسان العربي، وإن هذه الفوارق التي يجري الحديث عنها ما هي إلا تعبيرات عن قوى الهيمنة السائدة في كل قطر عربي، وتعبيرات عن مصالح تلك القوى والأنظمة، وإن المبالغة في الحديث عن الفروق بين العرب في أقطارهم يثير الشك في طرحه أكثر مما يثير التفهم من جهة التقييم والمراجعة بقصد المعالجة، ففي بلاد مثل إيطاليا مثلاً عانت من التجزئة، ومع ذلك أنجزت وحدتها القومية برغم الفارق الكبير في التطور الاقتصادي والثقافي بين الشمال والجنوب، وهو ما ينطبق أيضاً على ألمانيا بمعنىً مشابهٍ نوعاً ما، ولم يكن هذا عائقاً لاستمرار وحدة الدولتين، كما لم يكن عائقاً اختلاف منظومة الحكم والتطور الاقتصادي بين ألمانيا الشرقية والغربية وحالة العداء المستحكمة بين الدولتين إبان الحرب الباردة، فالعنصر القومي كان هو الأهم في لحمة الشرق والغرب في ألمانيا، وفي حالتنا العربية نجد أن حجم الفروق في التطور الاقتصادي والتعليمي والمعرفي ليس كبيراً بين الأقطار العربية، ويكاد يكون هناك تقاربٌ كبير، وخصوصاً في الأقطار العربية المركزية كمصر والعراق وسورية والجزائر والمغرب واليمن، من هنا نقول إن المبالغة في الحديث عن التدرج شيء مفتعل وخارجي أكثر مما هو ذاتي، وشكلي أكثر مما هو موضوعي.

إن ترك الخيار بين وحدة اندماجية أو فيدرالية يفتح الأبواب مشرعة على الانفلاش، ولا يبرر ذلك بالقول إن الوحدة الاندماجية فشلت فلمَ لا نجرب الحالة الاتحادية الفيدرالية لتجاوز الأسباب أو العوائق وتجنب الأخطاء التي رافقت الوحدة المصرية-السورية، فهذا محض افتراء، فالوحدة قوضت من الخارج أما الداخل فقد كان أداة فقط، وإذا ما أخذ من مأخذ على الرئيس عبد الناصر في ذلك فإنه ليس سوى أنه لم يكمل ما بدأه بالفعل عندما أرسلت القوات لقمع الانقلاب والتي وصلت فعلياً إلى اللاذقية، ولكن التمويه الذي مارسه عامر وزبانيته من جهة، ووجود عامر في الإقليم الشمالي يؤخذ عليه أيضاً، لأن الوحدة كانت مطلباً خرجت تطالب به الجماهير فعلاً وتطالب بإسقاط الانقلاب والانفصاليين، ولو كانت الوحدة فيدرالية مراعاة لما يدور في عقول البعض أو مراعاة لمصالح فئات هنا وهناك فإن الانفصال كان سيتحقق لأن العيب لم يكن في الممارسة بقدر ما كان في الوحدة نفسها بالنسبة إلى أعدائها والذين تآمروا عليها، ودور الهاشميين والسعوديين معروف في هذا المجال كأدوات للغرب الذي راعه قيام دولة الوحدة.

إن موضوع الحساسيات يمكن أن تجده بين مدينة وأخرى في ذات الدولة، وبين منطقة وأخرى في ذات المحافظة،



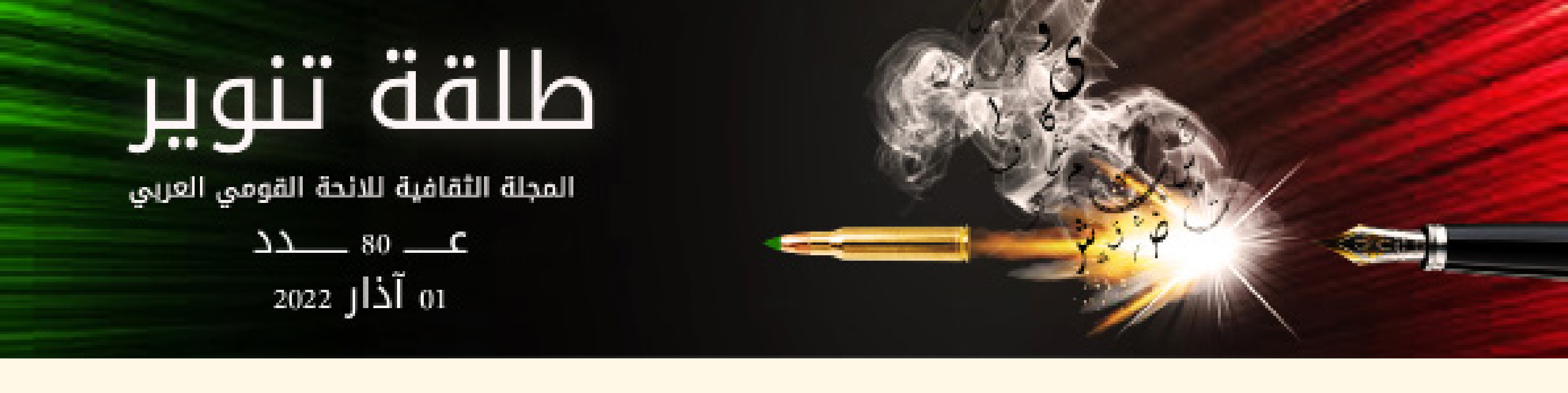
وبين حي وحي أو قرية وقرية، وهذا مرتبط بحالة إنسانية عموماً وبثقافة اجتماعية قبلية رعوية بخلفية تاريخية في الواقع الاجتماعي العربي خصوصاً، لكنها لا ترتقي أن تهدم بنيان دولة، فهذه أشياء هامشية تظهر وتختفي تبعاً لقوة السلطة وضعفها لذلك هي حالة عرضية.

تحققت الوحدة الاندماجية على أيدي العرب الأمويين بين مشرق الوطن العربي ومغربه بفضل مركزية الدولة وقوتها، وبفضل قمعها لكل نزعة انفصالية كانت تظهر هنا أو هناك بدوافع البحث عن السلطة لا بفعل عوامل موضوعية اجتماعية عرقية أو إثنية، ولم يكن الدين هو الأساس في الحفاظ على الوحدة أو قيامها، وإنما مرة أخرى قوة السلطة وتمركزها، ولو كان كذلك لما انفصلت أجزاء واسعة من المغرب العربي عن الدولة العباسية رغم أن دين الدولة واحد، وخلفيات الأدارسة مثلاً والعباسيين القبلية واحدة، ولكن ضعف السلطة في بغداد وتراخي القبضة أدى إلى ذلك، فدائماً تجد من يبحث عن مصالحه مدفوعاً بها أو مدفوعاً بمصالح غيره، لكن العبرة بالتعاطي مع نزعات الانفصال، فالشمال الأمريكي خاض حرباً ضروساً حفاظاً على وحدة الدولة الأمريكية، والصيغة الفيدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تخفي مركزية القرار والسلطة فيها، وكذلك الهند وروسيا والمملكة المتحدة (بريطانيا) كلها صيغ اتحادية لكنها مركزية وسلطة المركز تلقي بظلالها على كل التفاصيل فيها، فلا نغتر كثيراً بالمسميات والأشكال، فالنظر إلى الجوهر أنفع وأصلح في التقييم.

إن التجارب الوحدوية العربية التي طبقتها الدولة العربية، ومنها الدولة الأموية، وتجربة محمد علي باشا، قامت على كسر القيود والعوائق التي تقف في سبيلها، وكما يتم وصفها بالحديد والنار، لأنه متوقع دائماً أن يوجد من لا تعجبه الوحدة ومن تتضرر مصالحه في الداخل والخارج، وكذلك التجارب الوحدوية في التاريخ البشري والتي نجحت واستمرت كانت تسلك ذات الطريق، لأنك لن تجد من يتبرع بالتنازل عن مكاسبه لأجل قيام الوحدة، ولن تجد جوارك أو أعداءك يعجبهم أن تتوحد مع أشقائك، لهذا كانت الوحدة المصرية-السورية قمة في الرقي وقمة في ضرب المثل على حقيقة وحدة هذه الأمة عندما حمل السوريون لواء الوحدة وقدموه لعبد الناصر، من دون إراقة نقطة دم، المسألة ببساطة ليست فوارق أو حساسيات أو هيمنة مصرية على سورية أو عدم مساواة هنا أو أحزاباً تم حلها هناك، أو برجوازية متكونة هنا ولا مثيل لها هناك، إنما المسألة مصالح استعمارية استعملت الرجعية العربية ومن اندفع خلفها سعياً وراء مصالحه الذاتية للانقلاب على الوحدة بأدوات داخل الجيش الأول.

تجربة وحدة مصر وسورية عززت القناعة بالوحدة الاندماجية، وعززت أن الصيغ الأخرى ما هي إلا محاولات للهروب من أي استحقاق، والوحدة العربية في جوهرها مصلحة للأغلبية الساحقة من أبناء الأمة العربية، وإذا كانت تمس مصالح أحد فإنها تمس مصالح الحكام التابعين لمن سلطهم على بلادنا والكمبرادور الذي لا مكان له لأنه يمثل مصالح الإمبريالية، وكلتا هاتين العينتين تستحق أن ترمى في مزابل التاريخ، وليكف البعض عن ترديد أفكار من قبيل الوحدة المدروسة والبنى المتوازية في الأقاليم التي تنجز الوحدة، فإن فتح الباب للأخذ والرد يفتح أبواباً أكثر لمزيد من الميوعة ومزيد من خلق المبررات، لهذا لا يحتمل الوضع أن نخلق خلافاً من العدم ونجعل منه حقيقة.

هذا مشروع الأجيال، وهو ضرورة ستخلق أسباب وجودها، كما ستخلق ظروفها وشخوصها ومناضليها، لهذا يستحق منا مشروع الوحدة العربية أن نحافظ على جوهره الحقيقي المعبر عن جوهر مشاعرنا القومية وحقيقة آمال العرب بدولتهم الواحدة، فالإغراق في الجدل والإغراق في طرح الصيغ يضيع هذا الجوهر. نحتاج أن نقدم للأجيال العربية الصيغة التي تتفق مع حاجتهم للوحدة العربية، والتي تتفق مع حقيقة مشاعرهم، والتي تتناقض مع مصالح الأنظمة الرجعية وأنظمة التجزئة المعبرة عن مصالحها ومصالح الإمبريالية العالمية.



الصفحة الثقافية: (سيد لمجهول المغربي وسيدي هلال المصري) / طالب جميل



إن وجود كثير من المقامات والأضرحة في مناطق كثيرة من وطننا العربي يبدو أمراً مثيراً لقريحة العديد من السينمائيين لتقديم أعمال تعرج على هذا الموضوع، لا سيما وأن هذا الأمر يحتمل كثيراً من الإشكاليات ووجهات النظر في عصرنا الحالي، فهناك من يؤمنون بقداسة هذه المقامات ويتباركون بها ويلجأون إليها باعتبارها الصلة بينهم وبين ربهم، وهناك من يرفض منحها صفة القداسة ويعتبرها أضرحة لأموات مثل غيرها من الأضرحة المنتشرة في بقاع الأرض.

النظرة للمقامات تختلف من مجتمع إلى آخر ومن فئة إلى أخرى وأحياناً تختلف بمدى درجة التدين والوعي والفهم الحقيقي للدين، لذلك فإن الفيلم المغربي (سيد لمجهول) قدم الموضوع من زاوية مختلفة وأراد إيصال فكرة للمشاهد تختلف عن الفكرة المقدمة لاحقاً في الفيلم المصري (صاحب المقام)، والذي التزم بالمفهوم التقليدي للمقام وذهب باتجاه محافظ أكثر ونظر للمسألة بنفس القداسة التي يراها كثيرٌ من الناس في واقعنا العربي.

في الفيلم الروائي الطويل المغربي (سيد لمجهول) استمرارٌ للحرب التي يخوضها قسطٌ كبير من الفنانين والمثقفين ضد سلطة الخرافة وبعض الأفكار المنسوبة للدين التي أصبحت عبئاً على مجتمعاتنا العربية وكلفتنا كثيراً من الانحدار والجهل مما ساهم في زيادة ظاهرة التخلف وتراجع الرهان على العلم وبالتالي زيادة المسافة والفارق بيننا وبين العالم الأكثر تطوراً.

حكاية الفيلم عن لص يهرب من الشرطة ومعه حقيبة من النقود إلى إحدى المناطق الصحراوية ويضطر لدفن الحقيبة في أعلى سفح تلة في منطقة صحراوية مهجورة، حيث يجعل من تضاريس الحفرة التي وضع بها الحقيبة ما يشبه القبر، ويضع شاهداً على القبر كي لا يتوه عنها عندما يعود إليها، وكي يضلل المارة ويوحي لهم أن الشيء المدفون في الحفرة ليس سوى جثة.

يسجن هذا اللص عدة سنوات ثم يعود لمكان الحقيبة لاستخراجها، ليجد أن المنطقة أصبحت مأهولة بالسكان ومخصصة للسياحة الدينية، وأن الحفرة التي دفن فيه الحقيبة تحولت لمقام ولي صالح يدعى (سيدي لمجهول)، وأن هذا المقام فيه حارس ويتردد عليه الناس لشفاء مرضاهم والبحث عن البركة والرزق وهطول المطر.

يخوض اللص معركته ليلاً ونهاراً لاستعادة الحقيبة من الضريح المحروس من قبل حارس مخصص له مع كلبه، والمحروس بهالة القداسة من قبل الزوار والأهالي، وتنتهي هذه المعركة نهاية غير سعيدة له وللحقيبة وللضريح.

رغم البساطة في طرح فكرة الفيلم بطريقة غير مباشرة وإضفاء نكهة ساخرة على الأحداث إلا أن المغزى من العمل قد وصل لكل من شاهد الفيلم، فقد استعان المخرج بالكوميديا السوداء ليقدم فكرته محاولاً إدانة تلك



الأفكار الرجعية البالية بطريقة مختلفة، حتى أن مصائر الشخصيات في العمل تقاطعت مع مصير المقام المزعوم في نهاية عبثية غير متوقعة كسرت حالة الهدوء التي سادت أغلب مراحل الفيلم.

الفيلم من كتابة وإخراج (علاء الدين الجم) وبطولة (يونس بواب، صالح بنصالح، أنس الباز، حسن بديدا) وآخرين، وصدر في العام 2019، وتم تصويره في صحراء أكفاي في المغرب.

أما في مصر فقصة المقام مختلفة تماماً عن القصة المغربية، حيث تناول الفيلم المصري (صاحب المقام) الموضوع من زاوية مختلفة تماماً من خلال حكاية رجل الأعمال عديم المشاعرالذي يقوم بهدم مقام (سيدي هلال) لبناء مشروع سياحي ضخم، وبعدها تنقلب حياته وحياة أسرته إلى جحيم، فتنهال الخسائر على الشركة، ويزداد الأمر سوءاً بمرض زوجته ودخولها في حالة غيبوبة. وهنا يتأكد بأنه يتعرض لعقوبة إلهية فيبدأ رحلته مع إعادة الروح إلى حياته من خلال زيارة أضرحة ومقامات الأولياء وممارسة بعض الطقوس الدينية، وذلك بتوجيه وإرشاد من سيدة غير حقيقية تظهر خلال الفيلم بين الحين والآخر وتدعى (روح)، فيعمل على تحقيق أمنيات المستضعفين والمرضى المتروكة في رسائل حول مقام الإمام الشافعي، وتحمل تلك الرسائل قصصاً إنسانية لمجموعة من البسطاء والضعفاء الذين يمتلكون أحلاماً وآمالاً إما بطلبات التوبة والعفو أو بعودة الأبناء وشفائهم أو الحاجة للمال.

يدخل هذا الرجل في تفاصيل حياة كثيرٍ من العائلات البسيطة التي طلبت المساعدة من الإمام الشافعي ويتعرف عليهم عن قرب ويقدم لهم المساعدة اللازمة ويساهم في حل مشاكلهم المادية وعلاج مرضاهم وعودة أبنائهم المفقودين، وتجعله رحلته مع هؤلاء الناس يتغير إنسانياً للأفضل ويشعر بالآخرين أكثر ويكون عوناً لهم.

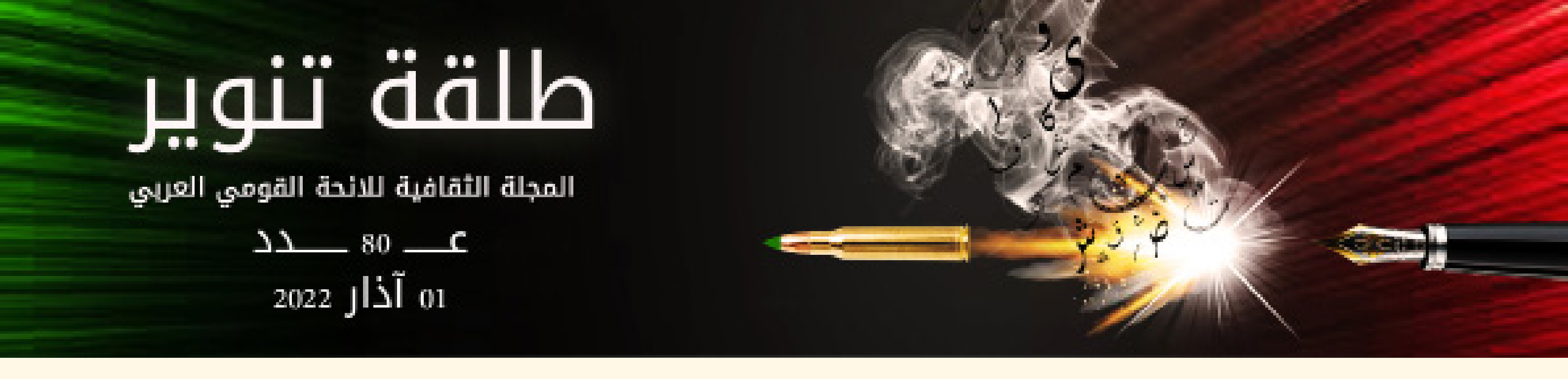
كاتب هذا الفيلم هو الكاتب المثير للجدل (إبراهيم عيسى)، والذي حاول في السنوات الاخيرة التركيز في الأفلام التي يكتبها على علاقة الدين بالمجتمع المصري، وعلى غير عادته حاول في هذا الفيلم تبني فكرة الحفاظ على المقامات وعدم المساس بها والتأكيد على قداستها، لا سيما وأنه عرف بكثرة انتقاده للتدين والمتدينين وبعض الأفكار والمظاهر الدينية السائدة.

وقد حاول أيضاً من خلال هذا الفيلم أن يجامل أو يتقرب من الصوفيين لكنه لم يكن موفقاً على الإطلاق، فالخطاب الذي ساد في الفيلم كان خطاباً عاطفياً ساذجاً، حيث لا يليق بكاتب تنويري الذهاب بهذا الاتجاه وتغييب العقل والمنطق ومحاكاة حالة الجهل السائدة لدى كثير من الناس عندما يتعلق الأمر لديهم بنظرتهم للأولياء وأصحاب المقامات، حيث أن تبني مثل هذه الفكرة في هذا العصر والدفاع عنها تعتبر خطوة للخلف في عصر تتقدم فيه الشعوب بالعلم والعمل والتكنولوجيا وليس بالخرافات والأساطير الغيبية، لكن يبدو أن هناك مزاجاً شعبياً عاماً مؤمناً بهذه الممارسات وأن الكاتب يراها جزءاً من إرثه الديني وثقافته وعاداته.

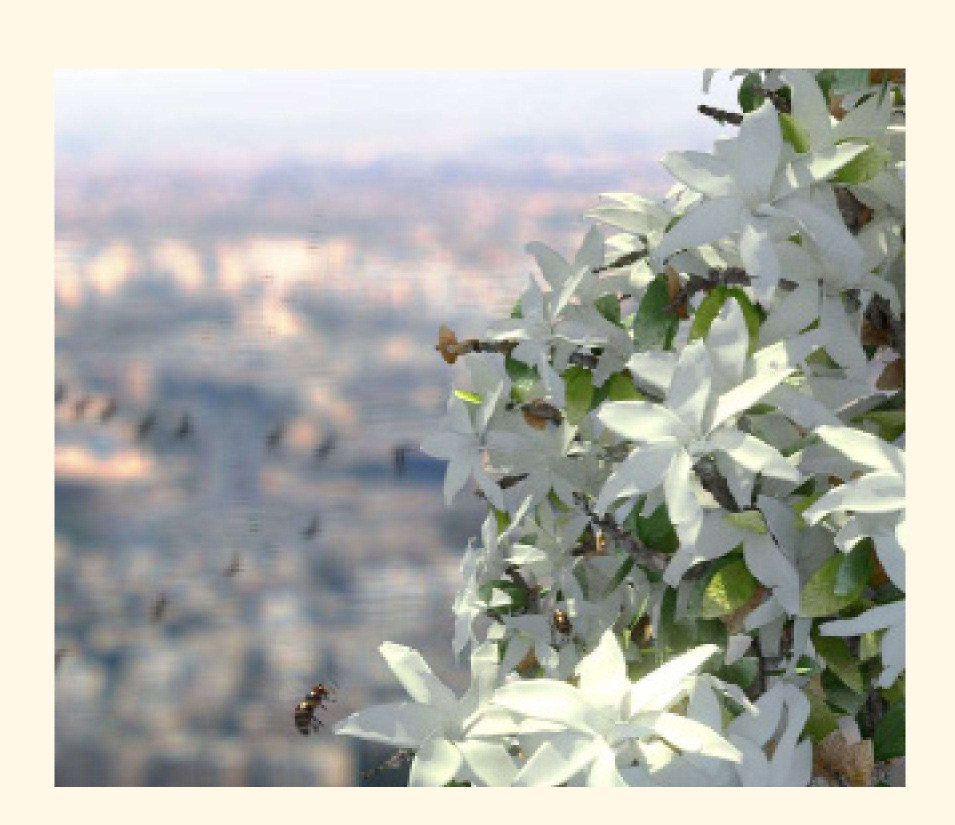
ولأن الفيلم بالأصل ممول من إحدى كبرى شركات الإنتاج المصرية، وتمت صناعته من أجل الربح، لا سيما أنه يضم مجموعةً من ألمع نجوم السينما في مصر، توجب على صنَاعه تقديمه بالشكل المقبول جماهيرياً وتجنب المساس بقداسة فكرة الأولياء ومقاماتهم أو تمرير بعض التوجهات غير المقبولة من خلاله.

الفيلم الذي قام بكتابته (إبراهيم عيسى) صدر في العام 2020، وتولى إخراجه (محمد العدل)، وهو من بطولة (آسر ياسين، يسرا، بيومي فؤاد، أمينة خليل، ابراهيم نصر) وآخرين.

ومن الواضح عموماً بأن المجتمعات العربية ما زالت غير جاهزة لتقبل أي نقد مباشر لأي ظواهر أو ممارسات مرتبطة بالموروث الديني، لذلك ستظل طريقة التطرق والتناول لمثل هذه الظواهر سطحية ويكتنفها كثيرٌ من المواربة والغموض وعدم المباشرة تجنباً لأي ردة فعل لا تحمد عقباها، لكن دق الجرس أفضل من الصمت والقبول والاستسلام، والاستثمار بالعلم والمعرفة والوعي ركنٌ أساسيٌ ومهمٌ في سبيل تقدم أمتنا العربية ونهضتها.



قصيدة العدد: دمشق... حكايةُ الأَزَل / سليمان العيسى



عَبَقُ التاريخِ... يا أمَّ السَّنا
أمْ نداءُ الشعرِ... أمْ أنتِ لديَّا
أيُّ خمرٍ؟ كُلَّما مُدَّت يَدي
صعقَتْني الكأسُ، فارتَدَّتْ إليَّا
أيُّ سرٍ أنتِ؟ ننهَدُّ على
شاطئِ السحرِ... ويبقى أزَلِيَّا
أيُّ أُنشودةِ مجدٍ... أرْضَعَتْ
مولدَ الدهرِ سناها العربيَّا
آه يا شامُ... تَعِبْنا كلُّنا
ومضى لَغْزُكِ جبَّاراً عَصِيَّا
كُلُّنا دونكِ زَوَّقْنا الرُّؤى
وعشِقْنا... تَغَزَّلْنا مَلِيَّا

***

شُعراءُ الشامِ... وانْهَلَّ الشَّذا
وإذا الحرفُ جُنونٌ من حُمَيَّا
أنتِ أعطيتِ... ولمَّا تَتْعَبي
ومشى الكِبْرُ بِبُرديْكِ فَتيَّا
مَرَّةً، وَمْضَةَ سيفٍ فاتحٍ
مرَّةً، عصماءَ تُغوي عبقريَّا
كُلُّنا فيكِ أنَخْنا رَكْبَنا
وسألْنا بَردى التاريخِ رِيَّا
كُلُّنا عندَكِ ألْقَينا العَصا
ووقَفنا زِرَّ وَرْدٍ نَتَفَيَّا

***

آهِ يا شامُ... تقاسَمْنا الهَوى
فإذا أنتِ الهوى... رُشداً وغَيَّا
إيذني لي أفْتَتِحْها وَقْفَتي
غَزَلاً يفْرضُه الحبُّ عليَّا
أيكونُ الشعرُ إلاَّ قَصْفَةً
من جناحَيْكِ، وينهالُ سخيَّا؟
لا أنَا قلتُ... ولا قالَ فَمٌ

أنتِ مَنْ رَقرَقنا حرفاً نَدِيًّا
مَن سَقانا...
مَنْ سَبَانا...
مَنْ حكَى...
ثُمَّ ردَّدْنا الصَّدى حُلْماً غَوِيًّا

***

يا قصيدَ المُبْتَدا والمُنْتَهى
إيذَني لي فيكِ أنسابُ رويًّا
لمسةٌ منكِ، ويصحو عالَمٌ
من غواياتِ الصِّبا بين يديًّا
إيذني لي أرتمي... يا حلوتي
في ذراعَيْ حلوتي طفلاً نقيّا

****

من فرط عشق أم من فرط إيمان، يخط سليمان العيسى بحروفه عالماً سحرياً تولد فيه العروبة كل يوم أبهى وفي كل مدينة أجمل، وفي هذه القصيدة يختار شاعرنا دمشق معشوقةً تستحق أصدق البوح والغزل.

قصيدة دمشق حكاية الأزل من منشورات عام 1993.

كاريكاتور العدد



كاريكاتور العدد: الناتو يقول إنه مستعد للحوار مع روسيا


المجلة الثقافية للائحة القومي العربي